نصوص من الصحافة الإسرائيلية

اغتيال مغنية بين ترميم القدرة الردعية الإسرائيلية وتكرار حماقة تغذية روح الثأر

ذهبت إسرائيل خطوة أخرى في التجاهل المصطنع للوضع الناشئ في المنطقة جراء اغتيال الحاج عماد مغنية عبر محاولة مصادرة واحدة من أوراق الضغط التي لدى حزب الله بتسريب أنباء قرب إعلانها عن مقتل جنديين الأسيرين لدى حزب الله. وبدا أن الأمر منسق ومدروس بحيث أن صحيفة ألمانية هامة تنشر الخبر فتنهال التعليقات في وسائل الإعلام الإسرائيلية عليه.

ولكن محاولة أخذ الواقع في تلك الوجهة لا يخفي حقيقة أن الجدل اليوم تجاوز فكرة تبادل الأسرى نحو تبادل الضربات. فليس هناك في إسرائيل من يظن أن اغتيال مغنية يمكن أن يمر من دون عواقب كبيرة. ففي معركة الهيبة القائمة في المنطقة ليس مسموحاً بتمرير ضربة موجعة كهذه من دون إشعار المسؤولين عنها بعمق حماقتهم.

وبعيدا عن الإجراءات الاحترازية في إسرائيل خشية رد فعل حزب الله يمكن تلخيص الدوافع الإسرائيلية للاغتيال في التالي. كان الحاج عماد مغنية يمثل في نظر الكثير من أجهزة الاستخبارات الإقليمية والدولية واحداً من أبرز التحديات في السباق نحو ارتقاء مراتب الهيبة والمكانة. وليس بالوسع تخيل تضييع إسرائيل فرصة كهذه لكسب مكانة متقدمة إن لم يكن المكانة الأولى.

غير أنه إلى جانب ذلك كانت هناك الرغبة الداهمة في اصطياد عصافير عدة بحجر واحد. فالاغتيال في العاصمة السورية وعلى مقربة من منشأة إيرانية ولشخصية لبنانية. ويمكن لذلك أن يسوق داخلياً كـ«نصر متأخر» في حرب لبنان الثانية وأن يوفر دليلاً دامغاً ضد سوريا في أميركا وأن يظهر إيران أمام الأوربيين في مظهر الداعم للإرهاب وقت مناقشة العقوبات عليها بشأن المشروع النووي.

ورغم الإغراء الكامن في الاغتيال فإن من المنطقي الافتراض أن الموقف الإسرائيلي حاول الاستناد إلى فرضيات عمل. ويبدو أن فرضيتي العمل المنطقيتين هما: أن حزب الله وسوريا وإيران يمكن أن يبتلعوا الصدمة ويتجاهلوا الاغتيال ويلتزموا الصمت أو يخفون المستهدف، وإما أن يردوا على ذلك بشكل يجعل مكاسب الاغتيال أكبر من أضرار الرد. والفرضية الثانية هي محاولة استدراج كل من حزب الله وسوريا وإيران إلى مواجهة شاملة تغير وجه المنطقة.

ويبدو من مراقبة السياسة الإسرائيلية في الأشهر الأخيرة أنها تحاول السير بخطى متواصلة نحو استرداد قدرة الردع وترميم قوتها، ولكن بشكل لا يقود إلى حرب شاملة. وربما أن الكثيرين في القيادة الإسرائيلية الحالية يراهنون على أن ما أحدثوه في لبنان من تدمير خلال الحرب والانقسام العربي والتعاطف الأميركي مع إسرائيل يشكل رادعاً لمن يفكر في الرد على إسرائيل. والأهم أن إيحاء إسرائيل بأنها قابلة للتصرف «بجنون» هو أفضل رادع للعرب في هذه المنطقة.

ولهذا سمحت إسرائيل لنفسها بالمراهنة على أنه أياً كانت فرضية العمل فإن المنطقة لن تشهد تصعيدا كبيرا يصل إلى درجة الحرب الشاملة. ومع ذلك فإن هذه القراءة للأحداث لا تأخذ بالحسبان حقيقة أنه قد يكون للطرف الآخر رؤية مغايرة. وكثيراً ما أشار معلقون إسرائيليون إلى أن أهم اختبار للفرضيات هو نتائجها على الأرض.

وثمة من يشك في أن النتائج قد تكون وفق الرياح التي تتمناها القيادة الإسرائيلية. وقد كتب بالأمس إيتان هابر في «يديعوت أحرنوت» ينصح رئيس الحكومة الإسرائيلية وقادة الموساد والمشاركين في قرار اغتيال مغنية. وكتب لهم: «لا تتأثروا بمقالات الثناء وصوغ التيجان للسياسيين ورجال الاعلام للعملية الاخيرة. فهؤلاء السياسيون والاعلاميون، سيبدلون التصفيق العاصف بوابل من البصاق وهتافات التحقير، اذا ما نجحت لا سمح منظمات الإرهاب، وعلى رأسها حزب الله، بتوجيه ضربة قاسية لنا كرد فعل على ذلك».

ولاحظ هابر «نحن أصحاب تجربة في هذا المجال. في العام ١٩٩٢ أعدمنا في لبنان عباس الموسوي، سلف نصرالله، وصغنا تيجانا للعملية، للمنفذين وللمقررين. جعلنا منهم أرباباً للحظة. وبعد وقت ما (بالمناسبة، وقت طويل نسبياً)، عندما قتل نحو مئة اسرائيلي، يهودي وأجنبي في عمليتين إرهابيتين في الارجنتين، غيرنا رأينا وسألنا: ماذا ولماذا، وهل كان حيوياً ضرب الموسوي؟ وبالاساس اذا كان مجدياً؟ تقريبا مثلما في تعابير البيع بالمفرق».

وفي «هآرتس» كتب جدعون ليفي يصف الحالة في إسرائيل بأنها «أشبه بأرجوحة هوجاء: في البداية ثار الحماس الغريزي الكبير ومن ثم جاء الهبوط في صبيحة اليوم التالي. خلال ساعات قلائل تأرجحت اسرائيل بين احتفالها بتصفية عماد مغنية وبين الخوف الذي ساد فيما بعد. «الإنجاز الاستخباري الهائل» كان التنفيذ النموذجي «للعملية و«إهانة الاسد» تبدلا في رمشة عين في ظل «حملة تحذيرات» تبث الرعب في صفوف هيئة مكافحة الارهاب: لا تسافروا، ولا تظهروا هويتكم الحقيقية، ولا تتجمهروا، توخوا الحذر، حافظوا على أنفسكم من الأذى، حالة تأهب قصوى في الشمال وفي كل السفارات الإسرائيلية في الخارج وفي التجمعات اليهودية في أرجاء العالم. ان كانت هذه هي المخاطر التي تتربص بنا فيجب أن نسأل: من اجل ماذا كنا بحاجة لهذه التصفية؟».

واعتبر هاليفي أن «من قتل عماد مغنية لعب بالنار مرة اخرى، وهي نار خطيرة بدرجة لا توصف. هو ألحق الاذى بأمن اسرائيل، وان كانت هي التي تقف وراء الحادث، فيجب ان نتساءل ان كانت هناك ذرة من التبصر والحكمة في هذه العملية».

ورأى آخرون أن المشكلة التي تواجهها إسرائيل ليست الأشخاص وإنما سياستها التي تخلق واقعاً زائفاً يقود إلى نشوء مئة بديل لكل شهيد.

تقديم وترجمة حلمي موسى